

Manifestations of Identity in the Emirati Feminist Novel: Reem Al-Kamali's *Rose's Diary* as a Case Study

Muna Ali Sahli* 

Department of Arabic Language and Literature, United Arab Emirates University, Al Ain, UAE

Received: 23/8/2022
Revised: 15/5/2023
Accepted: 7/6/2023
Published: 30/5/2024

* Corresponding author:
muna_sahli@uaeu.ac.ae

Citation: Sahli, M. A. . (2024).
Manifestations of Identity in the
Emirati Feminist Novel: Reem Al-
Kamali's *Rose's Diary* as a Case
Study. *Dirasat: Human and Social
Sciences*, 51(3), 471–480.
<https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.1968>

Abstract

Objectives: This study aims at highlighting some features of the Emirati feminist novel through exploring the theme of identity in Reem Al-Kamali's *Rose's Diary*. It examines the representation of identity in terms of the Self-Other relationship as it is manifested in the aforementioned novel. Doing so, it underlines identity's significance in explaining other subject matters that the novel tackles.

Methods: The study uses the analytical approach by engaging cultural and feminist approaches as two interrelated fields of study which are interested in dealing with cultural misconceptions. Hence, the study uses feminist literary theory due to its concern with the cultural construction of gender so as to highlight the fact that women's identities are socially constructed rather than biologically determined. To achieve its purpose, the study highlights the representation of the Self and the Other in *Rose's Diary*. It ultimately shows that analyzing the position of the female narrator within the network of connections she establishes with the Other leads to understanding several issues raised by the novel.

Results: The study shows that identity, in its various manifestations and paradoxical nature in the writer's consciousness, represents a central issue in the novel. Moreover, it reveals that despite the novel's interest in the suffering of women in a male-dominated society, the heroine's speech and actions characterize her as a product of her patriarchal culture, leading to her admission of her lover's superiority over her.

Conclusions: The study reveals the novel's obsession with preserving cultural identity but at the same time tracing features of change in the nation's cultural values.

Keywords: Emirati Novel, Identity, Reem Al-Kamali, *Rose's Diary*.

الهوية وتجلياتها في الرواية النسائية الإماراتية: قراءة في يوميات روز، لريم الكمالى أنموذجاً

منى علي السّاحلي*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، دولة الإمارات العربية المتحدة

ملخص

الأهداف: تطمح الدراسة إلى تبيان جوانب مما تهجس به الرواية النسائية الإماراتية، من خلال موضوع الهوية في رواية ريم الكمالى (يوميات روز)، وهو موضوع تسعى الدراسة إلى بيان أنه يجسد خيطاً ناظماً لهذه اليوميات. ولما كانت هوية الذات لا تتحدد إلا في علاقاتها بالآخر، فقد ركزت الدراسة على هذين العنصرين لكشف الصور والولاءات التي تتخذها الأنا والآخر، وفهم ما بينهما من علاقات وانعكاساتها على القضايا التي تعالجها الرواية.

المنهجية: تتبع الدراسة المنهج التحليلي مع الإفادة من مقولات النّقد الثقافي والنّسوي، وهما حقلان من النّقد تحكم بينهما علاقة وثيقة، فكلاهما يهتم بجلاء الوهم المكتسب الذي تصنعه الثقافة أو تمرّره من مفاهيم. إنّ نظريات النّقد النّسوي تهتمّ بكيفية إنتاج الفروق الجنسية (ثقافياً)، لذلك فإنّ ماهية (المراة) إنّما تتحدّد وفق المفاهيم المكتسبة في المجتمع، وليس وفق البنية البيولوجية وحدها. بذلك تتعقّب الدراسة- عبر مستويات السرد في (يوميات روز) - صفات الأنا، كاشفة انتماءاتها وقضاياها، كما تناقش صور الآخر. أفضي تحليل موقع الأنا- ضمن شبكة العلاقات التي تقيمها أو تتقاطع بها مع الآخر- إلى فهم القضايا التي تثيرها الرواية من خلال منظور الذات ورؤيتها للآخر، ورؤيته هو لها.

النتائج: بيّنت الدراسة أنّ هاجس الهوية يمثل قضية محورية تقوم عليها الرواية، على اختلاف مظاهرها، وإن لم تخل من مفارقات في وعي الكاتبة، ففي حين تركز على معاناة المرأة في مجتمع ذكوري، لكن تظهر في تصرفات البطلة وأقوالها ما يبين تأثيرها بهذه الثقافة، التي تفضي إلى الاعتراف لحبيبتها بتفوقه عليها.

الخلاصة: كشفت الدراسة هاجس الرواية في الحفاظ على الهوية الوطنية، ورصد معالم التغيّر في معالم البلاد وقيمها. الكلمات الدالة: يوميات روز، ريم الكمالى، الرواية الإماراتية، الهوية.



© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license
<https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/>

المقدمة:

الحديث عن الهوية ليس بالحديث الجديد، فمنذ أن تكون المجتمع الإنساني وأفراده يبحثون في أشكال الولاءات والانتماءات التي تربط بعضهم ببعض، وإن كانت الخصومات والاختلافات تبرز حتى بين أكثر أشكال الارتباط حميمية. لعل كثرة الحديث عن الهوية- في الآونة الأخيرة- وما يتعلق بها من إشكالات وأزمات وتساؤلات أن تكون أثرًا من آثار العولمة، (ينظر مثلاً غليون، ب. 2005، ص 23 وما بعدها، وزغو، م. 2010، ص 93-101)، وما ولّدته من هواجس وأسئلة حول الانتماء والأصل، وموقع الإنسان في عالم متغيّر تتضارب فيه القوى، وتطغى عليه المصالح، وتسير المادّة ومن يمتلكها. يعزى إلى عالم النفس إ. إريكسون صياغة تعبير (أزمة الهوية)، وتوسّع استخدامه أكثر في الستينيات من القرن الماضي مع بروز مسألة الأقليات. (ينظر بلكا، إ.، وحراز، م. 2014، ص 17).

لقد زاد الاهتمام بموضوع الهوية، ونشطت- مؤخرًا منذ بداية الألفية الثالثة- الكتابات حول موضوع الهوية ومفهومها، وأقيمت ندوات ومؤتمرات لدراسته ومناقشته، ولاسيما في دولة الإمارات. من ذلك ما أشارت إليه رحاب الكيلاني (2013، ص 11)، على سبيل المثال، مؤتمر مركز الخليج للدراسات تحت عنوان: (الهوية العربية في عصر العولمة، 2006). وتسمية عام 2008 بعام الهوية الإماراتية (ينظر موقع البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة المثبت في قائمة المراجع). هذا الاهتمام المتنامي يمكن فهمه كذلك في ضوء ما يشهده المجتمع الخليجي، والإماراتي خاصة، من تحولات مهمة، ولا سيما ما نال التركيبة السكانية من تضخم لنسبة الوافدين، قياسًا بنسبة المواطنين في الدولة، حيث بلغت نسبة السكّان الإماراتيين 11% تقريبًا من مجموع سكان الدولة، وهو ما تسبّب في إثارة عدّة قضايا وإجراءات تتعلق بالهوية الوطنية، ومناقشة سبل الحفاظ عليها، فضلًا عما أثير من معضلات تتعلق بمنظومة القيم، وما رصد من تحولات على الصعيد الاجتماعي والثقافي وغيره (الكيلاني، نفسه). وهو أمر ناقشه محمد عابد الجابري تحت مسمى (مشكل الهجرة)، وربطه بأزمة الهوية، ومثّل عليه بالهجرة إلى الخليج، والهجرة إلى أوروبا الغربية، على اختلاف وتمايز في ظروف كليهما. (ينظر الجابري، م. 2010).

الهوية Identity:

الهوية اسم غير عربي في الأصل، لكن عمد إليه بعض المترجمين، فاشتقّ من ضمير الربط (هو): "الذي يدلّ عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره... في قولهم (مثلاً): "زيد هو إنسان..." (صليبيا 1982، ص 529) ويقول الجرجاني (التعريفات، 1985، ص 278): "الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق".

يقول الكفوي (الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، 1998، ص 961) عن لفظ الهوية: "يطلق على معانٍ ثلاثة: التّشخّص والشّخص نفسه والوجود الخارجي" ويفسّره ناقلاً التّمييز بين الهوية والحقيقة والماهية: "قال بعضهم: ما به الشّيء هو باعتبار تحقّقه يسى حقيقة وذاتًا، وباعتبار تشخّصه يسى هويّة، وإذا أخذ أعمّ من هذا الاعتبار يسى ماهيّة..." وقد حدّد علماء المنطق العرب هويّة الشيء- كما فعل الفارابي- بأنّها "عينيته ووحدته وتشخّصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له عن كلّ واحد." (عن الكيلاني، ص 19).

الجدير بالذّكر أنّ بعض الفلاسفة المسلمين الأوائل (مثل ابن سينا والكندي) استعملوا مصطلح الإنّيّة، وهو اصطلاح فلسفي قديم معناه تحقّق الوجود العيني، وهو قريب من معنى الهوية. (ينظر صليبيا، ج. 1982، ج 2 ص 169، و 171) وقد تبلور مفهوم الهوية- في الاستعمال الحديث- كما صاغها عبد الإله بلقزيز بأنّها: "محسّلة معطيات الميراث الثقافي والاجتماعي والقومي والديني، لدى أية جماعة، أو أي شعب، أو أية أمة." (عن الكيلاني، ص 22) بالرجوع إلى قاموس السياسة والمؤسّسات السياسية، يشير مؤلفوه إلى أنّ الهوية السياسية سواء أكانت ولاءً حزبيًا، أم هوية وطنية تتحدّد من العمل المتواصل لبناء صور لمجموعة معينة، يشترك محيطها الداخلي والخارجي في تكوينها. وعليه، فتحديد الهوية له قطبان: الأنا والآخر، وهي تتّضح بتكامل صورة الأنا في المرأة، وصورتها في مرآة الآخر." (عن الكيلاني، ص 23).

ومن ثمّ، تظهر إشكالية المصطلح، وصعوبة حصره في تصوّر واحد، فضلًا عن وقوعه في مجالات متعدّدة من التّخصصات من علم اجتماع، وأنثروبولوجيا، وسياسة، وأدب، وفلسفة، وعلم نفس، وغيرها. (ينظر مثلاً سوزان مشير حمد، 2020) ذلك أنّ مفهوم الهوية ورموزها تختلف من جماعة إلى أخرى، بل من شخص إلى آخر، ففي حين تمتدّ أماكن لتكون هويّة أناسٍ، قد يجد آخرون- من الفنانين والأدباء مثلاً- الهوية تتمثّل في عنصر محدّد يبلور جوهر المكان بالنسبة إليهم، على نحو ما فعل ولاس شتيجنر 1962م، حين وجد "أنّ روح مدينة وايتند الواقعة في إقليم السّهول الوسطى بكندا، التي كانت بها دياره في السّابق، تظهر في رائحة نبات التّوت الفضيّ قبل أيّ شيءٍ آخر! (رالف، 2008، ص 104)، لذلك فـ "وجودك بباطن المكان يعني انتماءك إليه وتعيين هويتك به، وكلّما زدت عمقا فيه قويت هويتك به." (رالف، 2008، ص 105). بل إن الفرد الواحد قد تكون له أشكال متعدّدة من الهوية/الهويّات في سياقات مختلفة، على نحو ما توضّح أمّاريتا صن؛ إذ يمكن لشخص "أن

يكون مواطنًا بريطانيًا، ومن أصل ماليزي، وله خصائص عرقية صينية، وسمسار بورصة، وغير نباتي..." (صن، 2008، ص 38). إذا كانت الهوية ظاهرة رمزية مجردة، كما يقول المسدي (2014، ص 259)، فإن لها ملامح وتمظهرات- في الأعمال الأدبية يمكن للدارس فهمها عبر سياقات النص وآلياته، لكن يجدر الاحتراز مما قد يعتور ذلك من مخاطر، لا تأمن مزالق الإسقاط أو سوء التأويل.

غير أن هذه الدراسة تسعى إلى استجلاء ما يتعلق بسؤال الهوية في الرواية النسائية الإماراتية بالتقاط ما يبين من معالم - داخل النص السردى- تعبّر عن موقع الذات في عالمها وما ينطوي عليه من علاقات انسجام وتآلف، أو اختلاف وتباعد، وفق بنى أو قيم تؤسس لهذا الانسجام، أو تسبب ذلك التنافر. لعل من نافلة القول إن فن الرواية قد شكّل حضورًا لافتًا في المكتبة العربية، مغويًا أقلام الكتاب والكاتبات بإمكاناته التقنية، وما يتيح من مساحة تعبيرية واسعة، لتجد فيه براحًا يتسع لما تمتلئ به نفوسهم، وما تهجس به رؤاهم.

لم تتأخر الكاتبة الإماراتية عن اقتحام هذا الفن السردى مسجلة جرأة في التجريب لأشكال السرد وتقنياته، كما سجلت تنوعًا في تناول الموضوعات التي تكتب فيها، وإن كانت كثرة العناوين والمنشورات- بطبيعة الحال- لا تقتضي حكمًا بنضج التجربة الفنية التي لا يزال الوقت مبكرًا نسبيًا للحكم عليها، قياسًا بزمان ظهور هذا الفن في البلاد.

لقد اهتمت الرواية النسائية الإماراتية- شأن الرواية العربية والروايات ما بعد الكولونيالية عموماً- بمسائل تتعلق بسؤال الهوية الذي ينصب حول موقع الذات، وعلاقتها بالآخر النظير/المواطن، والآخر الغريب عبر مستويات متعددة من التعلق والتقاطع، سواء على الصعيد اللغوي، أم الاجتماعي، أم الثقافي، أم المكاني، أم غيره.

ريم الكمالي:

من مواليد 19 أغسطس 1974. نشأت في قرية خصب، وانتقلت إلى دبي فنالت الثانوية بدبي 1994م، ثم التحقت بكلية الآداب في بيروت فدرست التاريخ والآثار، تتقن اللغة الإنجليزية، مع إلمام بالسومرية والهيروغليفية، بما يتيح لها قراءة النصوص على الألواح الحجرية والطينية القديمة. لها شغف بالصحافة حيث تعمل منذ فترة مبكرة من مسيرتها المهنية، فاشتغلت منفذة لصفحات الجريدة الرسمية، ومخرجة لملاحق سياسية وثقافية، كما عملت مصممة للمحق مسارات الثقافي في جريدة البيان. هي أيضًا مسؤولة مكتبة البيان التابعة للصحيفة.

تعدّ ريم الكمالي واحدة من أبرز الكاتبات الإماراتيات ذات الحضور في المشهد الثقافي، فلها رصيد وفر من الأعمال العلمية والأدبية التي هي محل تقدير واهتمام، فازت روايتها الأولى (سلطنة هرمز) الصادرة عن دار كتاب الإماراتية 2013، بجائزة العويس للإبداع، في دورتها الثانية عشرة عن فئة أفضل إبداع قصصي أو روائي لعام 2015م. أما روايتها الثانية تمثال دلم، فقد حازت على جائزة أفضل كتاب عربي لمؤلف إماراتي في معرض الشارقة الدولي للكتاب عام 2018. أما روايتها الثالثة (يوميات روز) - وهي مدار هذا البحث- فصدرت عن دار الآداب 2021م، فقد وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية، عام 2022م. (التعريف بالكاتبة مستمد في مجمله من سيرتها الشخصية كما قدمتها الكاتبة حين استضافتها الباحثة في ندوة بجامعة الإمارات، يوم الاثنين الموافق 2020.2.24، ومن موقع التبراة الإلكتروني والموقع الإلكتروني للجائزة العالمية للرواية العربية)

وقد وجدت الرواية الأخيرة- منذ صدورها- صدى في كتابات الأدياء والدارسين، فكان الكاتب الجزائري واسيني الأعرج من أوائل من كتبوا عنها، ونهوا إلى ما تحمله من إشارات إلى موضوع الهوية بدءًا من هوية المرأة/البطلة المهددة بالموت تخليًا عن كينونتها، وانتهاء بالبحث عن الهوية المكانية في زمن شهد موجة التيار القومي، كما عانى من انهيار للقيم بأنواعها. (الأعرج، واسيني، 2021)

الهوية وهاجس التوثيق:

إن تشكّل الذات يتم عبر سلسلة من المواضع التي تحدّد موقع الذات من محيطها، ومما يشتمل عليه هذا المحيط من أفراد وجماعات، تدخل بدورها في منظومة من المفاهيم والأحوال والمواقف التي تشتبك أو تنفصم أو تصطرع معها. فحياة المجتمع الجديد (المنفتح) على جماعات وثقافات مختلفة، تضع الذات كلّ يوم في علاقة جدلية مع الآخر، تشكّل مواجهة تثير أسئلة ضمنية عن كينونتها، وعن موقعها منه وموقعه منها.

تثير اليوميات عدّة قضايا متشابكة يمكن أن ننظمها في خيط جوهري، هو خيط الهوية. فاليوميات فعل كتابة تسجيلية لأحداث متواترة يوميًا، وإن غاب أو أهمل هذا التواتر، فإن فعل الكتابة يسجل هاجسًا أصيلًا تسرب من الكاتبة إلى البطلة (أديبة المدرسة) التي كانت تحلم بأن تدرس الأدب العربي في جامعة دمشق، وتصبح كاتبة ذات شأن في عالم الإبداع.

تقول البطلة اليافعة مشيرة إلى هاجسها الكتابي، وغايتها من التدوين: "كان يجدر بي إكمال تعليمي الجامعي والدراسات العليا لأوثق أحوالًا نقلت على شفاه ورثة السلف، لم تكن في البال ولم تعد..." (الكمالي، ر. 2021م، ص 28)

إنّ القصد التسجيلي تعلنه الكاتبة صراحة- في حديثها عن الرواية وهي ما تزال قيد النشر- وهو يبرز أيضًا في روايتها السابقتين: سلطنة هرمز، وتمثال دلم. الغريب-الآخر: القريب/البعيد:

منذ بداية اليوميات، تبرز هذه الإشكالية المعقدة للهوية، حيث تتقاطع الأنا مع الآخر، في عدّة علاقات تتشكّل بها هوياتها/هويتها ذات الأوجه المتعددة. فمنذ وفاة الأم، تهض إشكالية الهوية البطلة (روزة) التي تصبح في نظر عمّها وأهل أبيها (غريبة) في الشارقة، عند أحوالها الذين ينتمون إلى قبيلة أخرى.

لذلك يقررون إحضار (ابنتهم) إلى بيت أبيها، الذي بقي - بعد وفاته - أولى بها من بيت أخوالها حين ماتت أمها. كما تشير الكاتبة إلى العصبية الوطنية، التي تتقاطع مع شعارات العروبة حين النضال القومي، وتنقلب عليها حين المصاهرة. فهذا المجتمع الذي يفخر ويعتز بالعروبة والعرب إلا عند النسب، فإنهم يغدون خصوما وأعداء. فهو مجتمع "لا يتشابهك نسبًا مع الأغراب..." (الكمالي، نفسه، ص 78) وحين تجد البطلة (روزة) رسالة من صديقها (بعد أن أخفاها عنها عمها)، تحدثها فيها عن سفرها إلى بغداد حيث تدرس الأدب الإنجليزي، وعن علاقة حب نشأت بينها وبين زميلها العراقي الشاعر، تتخيل البطلة أنها تردّ عليها لتحثها، في رسالتها الوهمية، على أن تعيش هذا العشق الجميل، ولكن ينبغي أن تدرك أنه لا أمل لها أبدًا في الزواج منه في عرف مجتمعها، الذي يصادر حق الأنثى في اختيار من تحب، فكيف إذا كان غريبًا! منذ البداية تشير البطلة - في أثناء رحلتها إلى بيت والدها في دبي - إلى خلو المكان من (الغريباء)؛ وتبين أن المنطقة التي تقيم فيها أسرة أبيها (حي الشندغة) المجاور للخور "أعرق حي، وأقدم مجتمع في دبي" كانت خاصة بالمواطنين، ولا وجود لغريب بينهم؛ "إذ لم يسمح للهنود بالإقامة في الحي، ولا للبلوش أو الإيرانيين، ولا الآخرين، كل هؤلاء كانوا يقبعون في منازل بسيطة في ديرة." (الكمالي، ص 12، ص 25) من ناحية أخرى، يبدو الآخر/ الغريب بعيدًا عن فهم طبيعة تكوين المجتمع المحلي، الذي لا يرضى - بدوره - عن صورته المبتسرة في مرآة أولئك الغرباء، ولذلك تذكر روضة من ضمن أسباب نفور المجتمع/ الرجال من الغرباء، أنهم لا يميزون خصوصية الهوية لهذه البلاد، وتشير إلى اعتزاز (الرجال) العالي بالنفس وانزعاجهم من الأغراب الذين لا يميزون بين أحد، "فجميعهم في نظرهم: (بدو)"! (الكمالي، ص 104)

الغريب/ المستعمر:

تذكر البطلة روز/روزة في يومياتها جزءًا من تاريخ المنطقة مرتبطًا بالخليج والتجارة والبحر، مشيرة إلى ما تعرضت إليه من استعمار امتصّ خيراتها، وظهر لـ "أول مرة في تاريخ العالم" مصطلح (تجار لندن). فالتاجر الإنجليزي لم يولد بمهارته، ولا بإرثه من أجداده الذين لم يعرفوا "سوى الطاعون والحرب والبرد والحرق" (الكمالي، ص 126)، ولا اغتنى بشرف المنافسة. فالإنجليز يظهرون في الرواية - كما في العديد من الروايات الإماراتية - في سياق السرد التاريخي بوصفهم المستعمر الذي ينطلق في علاقته مع المستعمر من منظور المتفوق، لكنّه في الوقت نفسه مدين له بما يناله من خيرات البلاد ومقدراتها فهو في تعامله يقوم على نظرة مزدوجة بين الاستهانة والاحتقار، من جانب، ومن جانب آخر على الطمع والشر؛ ليجتمع الجانبان فيما شكلته سياسته من ازدواجية معايير ترفع للأخرين شعارات ومبادئ، لا تطبقها على نفسها. إنّ هوية هذا المستعمر، أو ما اتخذته من أشكال براقّة يروج بها لنفسه (تجار لندن)، لم تتأسس - كما تذكر البطلة - بما تقتضيه هذه الحرفة من مهارة وخبرة في التعامل، والصلوات الإنسانية، والقيم الأخلاقية، بل تأسست من قدرته على تحيّن الفرص، وإظهار الجبروت، والاستيلاء على خيرات الآخرين. بذلك فهي تشير إلى ممارساتهم الوحشية، في سبيل مطامعهم التي لا تأبه لأي قيم أو نوازع خيرة: "منذ ولادة الإنجليز على سواحلنا يسيرهم على شهقات اليابسة، وهم يختبرون قوة إبحارهم في سفنهم الضخمة، ويحررون شهوتهم على منازل الموت فينا حتى يطوقوه بنشر أثقالهم، فينبسطون لانتزاع المسطحات المائية والجزر تبعًا، ويتخلصون كلما ضجروا من أصحابها، وما أكثر الحكايات الموروثة في هذه الزرقة التي لم يكتبها أحد!" (الكمالي، ص 27)

هكذا يتشابهك الشّخصي بالوطني، والخاصّ بالعام، كما تتشابهك في المخيلة أحلام اليقظة بكوابيس المنام؛ لتندسج منها يوميات هي أقرب إلى التّهويمات التي تنسرب عبرها أفكار الكاتبة البطلة إلى البطلة الكاتبة قابضة على جمر البراع لتوقد أسئلها الشائكة، مقاومة المحو والصّمت والنسيان. فهاجس التوثيق هو هاجس الكاتبة تسلّل إلى البطلة، التي تعيش وعيًا مبكرًا، وتعاني تشتتًا انعكس في أزمة هويتها الموزعة بين الأماكن والألسنة والأهواء.

الغريب سلاح ذو حدين:

تعود البطلة بالزّمن إلى الستينيات من القرن الماضي، الزّمن السّابق لقيام دولة الاتحاد، مستدعية تاريخ هذه البلاد القديم والقريب، حيث الإرث الثقافي والحضاري ضارب الجذور، لكنّه يتفكّلت تبعًا بفعل (الأغراب) الذين جاؤوا يلتمسون قطعًا من جسدها، غير مباليين بما يرتكبونه من جرائم، حتّى (المستثمرين) الذين قدموا بأموالهم بدافع (الإعمار)، وبالرغم مما شيدوه من عمران ومبان شاهقة، لكنّها كانت تستلّ روح المكان، وذاكرته الثرية بالفنّ والإبداع، لتقيم على أنقاضه شاهقات جوفاء، أشبه بالجثث المحنطة في بستان كروم!

فالرغبة الأصيلة لدى البطلة/ الكاتبة تكمن في الحفاظ على الهوية المحلية، من خلال تسجيل تاريخ الوطن وتوثيق موارثاته الثقافية، التي كادت تجور عليها آلة التمدّن والتحوّل باسم الحضارة. لذلك حتى أعمال البناء التي قام بها (الأغراب)، وإن كان منهم من العرب، كانت تتم على حساب معالم الهوية الأصيلة، والقيم الخلقية المتوارثة. تقول البطلة - مثلاً - وهي تتأمل النقوش في بيت جدها، وما تدل عليه من فن معماري رفيع، لا تنحصر قيمته فيما شهدته من أحداث، أو سلخه من أعمار وعصور فحسب، إنّما بما ينبض به من معالم ونقوش تشكل هوية ساكنها، وتدلّ عليهم: "النقوش روح المنازل في الشندغة!" (الكمالي، ص 202)

من هنا، يصبح هدم هذه المعالم، حتى ولو كان بدعوى التحديث، هو هدم للهوية، وتنكر للروح والعقل معاً. بل تمضي الكاتبة/البطلة لتري أن هذا التحديث المزعوم هو نوع من الاستلاب والسقوط في وهم التفوق الغربي، فتهتف مناجية جدها الغابر: "معجبة أنا بك يا جدي لعلني أن هدم الإرث عنوان شرقنا الموهوم بالغرب، شرقنا الأحمق منذ أضاع كتب الحكمة. إنه شرق عنيد لا يسمع." بذلك فالبناء الحديث، بالرغم من بذخه، كما تصوره الكاتبة، هو بناء من دون هوية أو انتماء، مما يهدد ساكنيه بفقدانها: "زحف علينا بناء خال من عبقریات التشكيل، بناء ضيق الشعور، يضيق بمشاعر ساكنيه،" بل لقد احتل البناء الإسمنتي المنطقة كلها وارتفعت "عمارات تجارية برؤوسها اللا منتمية." (الكمالي، ص 202، 204) والعجيب أنه "لم ينتفض أحد سوى الأمير الغريب" (الكمالي، نفسه)، وهو الرسام المهتم بالمباني التراثية، الذي استنكر عملية هدم التراث، لكن استنكاره لم يغير من الأمر شيئاً.

إنّ الانفتاح على الغريب، ولا سيّما السياحي، هدّد التراث الوطني، كما هدّد المعماريّ الحديث التّراث المادّي والزّوجي معاً حين حلّت أشكال آليّة صمّاء محلّ المباني التّراثيّة النّابضة بالزّركشات الفنيّة القديمة! مع أنّ ذلك كلّ كان بإذن أهل البلاد، لكنّ المعلوم فيه- عند الكاتبة- هو الغريب، فـ "لا يهّم المغترب هدم مبنى تراثي مقابل تشييد مبنى جديد متعالٍ ومتبجح وبلا أية زخرفة تمثل ثقافتنا." (الكمالي، ص 203)

علاوة على ذلك، هناك إشارات عديدة في الرواية إلى التغيير السلبي الذي أحدثه (الأغراب) الوافدون في هوية البلد الوطنية والدينية، حيث تسبب وجودهم (ولاسيما وجود المستثمرين الضروري للنهضة العمرانية) في ترخيص تقديم الخمور لأنهم لم يصبروا من دونها على تحمل حرارة دبي ورطوبة جوها (الكمالي، ص 47 وما بعدها). فازدهرت بذلك السياحة (المكشوفة) وتوافد على البلاد الأجانب من كل مكان "من الإنجليز والأرمن والهولنديون والهنود والعرب والفرس وكل شاكل يعشق ضرب الأقداح، وسكب الكؤوس البلورية بعد تجارة..." (الكمالي، ص 50، 51).

المفارقة، أنه بالرغم من إشارة الكاتبة إلى وجود نوع من الخمر المحلي الرخيص، المحدود الانتشار، فإن الأهالي ضجّوا بالشكوى خوفاً من فساد الشباب، مستنكرين ومنكرين أمر الخمر: "كل المساحات تأبى الخمر هنا، فلا خمر للخور ولا للخور خمر، ولا انتشاء لنا سوى في مجالس الموالد وذكر النبي، حيث تتمايل يميناً ويساراً ونحن نشد القصائد في حبه، ولا سكرة لنا سوى بسماع صوت النّهام" (الكمالي، ص 51).

لقد استعمل المعارضون النشوة والخمر مجازاً مقترناً بالمديح النبوي؛ متكئين على الشعور الديني، في مفارقة تؤكد الفصام بين المضمر والمعلن، وأن اللغة قد تستخدم في ستر الواقع، إرضاء للصوت الجماعي، وتهيباً لمشاعر العامة، وغيرتها على المقدسات. أما النساء فكانت شكواهن منبعها الغيرة على أزواجهن وانشغالهم عنهن، وإقبال الشباب على فندق المستثمر الذي أراد أن يبين لهم تغير الزمان والعالم معه، فـ "ألقي لهم" جواباً مصفى في تراث السياسة" مفاده: "من أراد الصلاة فهناك مسجد، ومن أراد الخمرة فهناك فندق، والاختيار لكم." ثم أوضح بأن حاجة البلد للتجارة وللرزق تملّي الاستجابة لشروط المستثمرين، معقبا: "وانتم لستم خارج الحياة! إلى متى ستقولون: نحن غير الناس؟ أفيقوا، فالعالم يتغيّر" (الكمالي، ص 52).

أزمة اللغة وعلاقتها بالهوية:

تبرز أزمة اللغة وازدواجيتها، لدى البطلة، بوصفها تحدياً من تحديات الهوية، تقول روضة: "يبعثني الوهم بوصفي ابنة تعيش عصرها ونار المقرّ، وتبقى المحصلة في لغتين لغتي النبطية التي أتحدث بها كفتاة تنتمي إلى أراضي الساحل المنسية، ولغة النهضة العربية الفصحى التي اتخذت من اللغو خلافة جديدة تنمو حيرى في أرض شاسعة تدعى الأراضي العربية فكان القرار لزمّن الأزمني لبوس التراث في المجالس." هكذا تتخذ البطلة الكاتبة القرار بتوديع لغة الأنباط، وتختار الكتابة بلسان فصيح وفكر يمتد عبر هذيان يومياتها - كما تقول- وهي تتفجّر "على مسرحية لزمّن عربي متحوّل!" (الكمالي، ص 70)

لكنها تستغرق في الهواجس الفنية مثلما تستغرقها هواجس التوثيق، فتقول عن لغتها: "أحببت اللغة التي أستخدمها وأنا ألبسها لبوسها الخام، وأكتبها بعد مكابدة لمعرفة نفسي، لأضمن الشفاء من المشاعر المريضة، وقد كانت النتيجة أنني أغفر للآخرين على الفور، فالكتابة قلب جديد، وكلما انغمست في التأليف زادت قوتي، فاللغة أصل الذوق." (الكمالي، ص 158)

لكن هذه اللغة (لغة الكتابة الفصيحة) اقترنت عند عمها بمظاهر التحرر في لباسها العصري القصير، مسجلاً الأمر-بامتعاوض- على أنه انفتاح "بهية الحرّيم" مستنكراً عليها أنها بوصفها "أنثى عربية دبوية، معلومة الأصل والفصل مخبوءة الجسد" أن تتحدث "بلغة القوميين العرب وهيأتهم الغازية!" (الكمالي، ص 17) فكان هذه اللغة القومية هي لغة من لا أصل له، أو مجهول النسب، فهو يتكئ على القومية هوية بديلة تعوضه عن فقدان النسب، أو عن إحساسه بالنقص لضعف أصوله القبلية.

ينضّ الخوف التقليدي من فوات فرصة الزواج إن هي أكملت تعليمها في الخارج بل إن هذه النهضة العربية صارت جملة تبعث على الخجل لدى رجال العائلة، وأصحاب العادات التليدة. (الكمالي، ص 17)

وهي حين تطل من قلعة أبيها، تحلق بأوهامها لتنظر إلى منطقة (الراس) في الجهة الأخرى للشندغة، فيسرح بها الاسم إلى مشاهد فيها رؤوس كثيرة، حيث تمد يديين "مفتوحتين كجناحين مسافرين وهما فوق الرؤوس كلها" لتتداعى لها مشاهد الرؤوس رغم اختلاف سياقاتها: رأس برج الهواء، رأس الزاوية المزخرفة لهلال في جص، رأس الجمل أمام سنامه في رمال بعيدة، رأس القلم الذي أخرجه من حقيبته يدها الطائرة معها، ثم عندما نظرت إلى

المشاة في الأسفل (كانت الأجساد يتسبدها رأس) فالجار (صاحب رأس المال)، ووالدها (في رأس المكانة)، عمها (رأس الغموض)، وزوجة عمها (رأسها في رأسها)، وجدتها (بهمها رفع الرأس والسمة)... وتقودها (حكاية الحمقى مع الرأس الأخاذ بشمال الجسد) إلى التأمل في قيمة الشمال مقارنة بالجنوب، في إحياءات دالة بنبرة تهكمية: "أليس الشمال أجمل من الجنوب؟ والشمال دائما على مايرام، الشمال البارز، ولا تهمنا الأقدام وما نسحق بها؟ فليحي الشمال الغني وهلك الجنوب الفقير، الشمال الأبيض والجنوب الأصفر..." (الكمالي، ص 33، 34)

هاجس الكتابة أو الجنون وسؤال الأنثى:

يتجلى سؤال الكتابة الهاجس الأكبر للذات في اليوميات، مقترنا بسؤال الهوية، على عدّة وجوه: الهوية القومية، بما فيها اللغة الفصيحة، والهوية الوطنية، والهوية الجنسية/ (الجنسية)، وهوية الذات الكاتبة التي تتوق لتعتق روحها بالكتابة والإبداع.

تنتمي البطلة (روزة) إلى جيل واعد من طالبات المدارس حين كانت بواخر النهضة العربية تداعب أحلامهن بعصر جديد يتمتع فيه بما يسوده من حقوق في التعليم والحرية والمساواة، ويتطلعن إلى تحقيق طموحاتهن بما يحزنهن من تقدم خارج أسوار البيوت، وعتماات البراقع.

تبدأ البطلة من حيث غربت شمس يومياتها في رأس الخيمة بقلعة شيخ تسعيني أرغمت على الزواج منه بعد وفاة عريسها يوم العرس جزاء سقوطه من حصانه. كانت تعيش مع أمها وأخوالها في الشارقة، متعمدة بجو من الحرية والتعليم، موعودة ببعثة دراسية لإحدى الدول العربية لإتمام تعليمها الجامعي. فالجانب الأمومي للبطلة يبدو أكثر انفتاحا وأوسع أفقا من محيطها الأبوي الذكوري، الذي اضطرت للانتقال إليه.

فوفاة أمها غيرت مجرى حياتها؛ لتنتقل إلى (بر دبي) حيث مضارب أهل والدها الذين لم يرضوا أن تعيش ابنتهم بعيدا عنهم، بعد أن فارقت أمها الحياة. من هنا تبدأ مرحلة جديدة معتمدة من حياة (روزة) حيث أخذت منها ملابسها العصرية، أو كما تسميها (ملابس النهضة العربية)، وأجبرت على ارتداء الملابس القديمة التقليدية المستعملة/ ملابس زوجة عمها. في هذا الوسط، لا سلطة فيه إلا للذكور، ولا سيما عمها رجل العائلة الذي لا هم له إلا المحافظة على المال وإيمانه، وهو صاحب السطوة الذي يحرمها من الاطلاع على ما يرد إليها من رسائل من معلمتها ومن زميلة دراستها. (الكمالي، ص 86) حتى الجدة، وهي امرأة قوية نافذة الرأي، لا تصدر إلا عن عقلية ذكورية، ولا ترى من مكان للمرأة خارج البيت.

إن أسئلة الانوثة وموقعها في مجتمعها لا تجد لها ما يقنعها لدى البطلة التي تسبح في تهوية مع الخيال، في أثناء رحلتها مع عمها إلى قلعة أبيها وتحلق مع ربح العافور-حسب تعبيرها- لتحط على شجرة العائلة التي "تتباها بأسماء الآباء في سلالات ذكورية الاشتقاق..." فيثور فيها هذا التساؤل: "كلهم أجدادي، فأين جداتي؟" (الكمالي، ص 22) هذا التساؤل الذي قامت عليه الحركة النسوية في الغرب، جاعلة- أحد أهدافها الأساسية- البحث عن تراث النساء المدفون مثل قارة أطلنطس بتشبيهه إلين شوالتر (Eagleton, M. 1986, p. 5) وأثارته بألم فرجينيا وولف في كتابها (غرفة تخص المرء وحده، A Room of One's Own) الذي حثت فيه النساء- إذا أردن الكتابة- أن يحرصن على تأمين استقلالهن ماديا ومكانيا، وبينت أن غياب الإرث النسوي الإبداعي لا يرجع إلى قصور المرأة عن الإبداع، وافتقارها للموهبة الأدبية، إنما يعود إلى معاناة المرأة- عبر العصور- من القمع، والكبت، والمنع من مزاوله الكتابة الأدبية وكان العمل الإبداعي هو من اختصاص الرجال وحدهم الذين توفرت لهم- في المجتمع الذكوري- كل الأدوات، وفتحت أمامهم الأبواب لاكتساب الخبرة، وصقل الموهبة، وتجربة الحياة الحقيقية، في حين أوصدت بإحكام وصرامة أمام جنس النساء!

إن البطلة (روزة) تشبه إلى حد كبير جوديث شكسبير المتخيلة في كتابات وولف (Woolf, V., p. 28) تلك المرأة الموهوبة- من القرن السابع عشر- لم تتوفر لها الفرص (كأخيها ويليام) لتصقل موهبتها، وتحقق عظمها (كما فعل أخوها)، بل اضطرت أن تمارس كتابتها في الخفاء، كما تفعل (روزة) في اليوميات، ولا تجرؤ على إبرازها للعيان.

إن المحو/الغياب الذي تعانيه المرأة الكاتبة، ووقوعها في المجهول، حتى وهي تمارس الكتابة، قد استمر في الغرب حتى القرن التاسع عشر حيث اضطرت تلك الظروف عددا من الكاتبات إلى اللجوء إلى التعمية عن أسمائهن باستخدام أسماء للرجال، على نحو ما فعلت (جورج إليوت)، و(جورج صاند) (ينظر 30, p. Woolf, 2014).

لن تلبث (روزة)- بعد ذلك- أن تدرك أن وجود المرأة -في مجتمعها- إنما هو مستمد من علاقتها بالرجل؛ سواء بنسبه، أو حرفته، أو وجاهته وماله، ولا تملك المرأة هوية لذاتها، فلا هوية لها إلا بالانتساب للرجال. لذلك ستدرك حين تناديهما جارة بـ (بنات التجار)، أنها ستعرف بغيرها، فهي أنثى محكومة بالاختباء والإنكار والجهل، وتسرح بخاطرهما- في ألم- متجاوزة (نشوة الألقاب والكنيات) لتذكر كيف كانت في المدرسة تدعى بـ (ملكة الأدب)، وكيف صارت (أديبة المدرسة) لتجد نفسها (فرعا أنثويا) في بيت والدها تدعى بحرفة أسلافها، وفي غد ستنال كنية (أم فلان) لتمضي بها "الألقاب من المعلوم إلى المجهول" (الكمالي، ص 32).

إن كتابة الأنثى فعل واع بكيونيتها وذاتها في مقاومة الإهمال والحدود والنسيان، فهو يمكن أن ينظر إليه على أنه شكل من أشكال الهوية. يعرف الفيلسوف جون لوك الهوية على أنها «تذكر للذات»، وأنها تقوم بصورة تامة على الإحاطة بأسرارها. أما بول ريكور وحنا أرذنت، فيذهبان إلى أن "تذكر الذات هو هوية سردية للذات وتجسيد للهوية الذاتية." (مارو، ج. 2021)

الكاتبة- في جلسة حوارية عن بُعد، نظمها صالون الملتقى الأدبي مساء الثلاثاء الموافق 20 أكتوبر 2020م- تصرح بقصدية الكتابة بصوت الأنثى

إرضاء لها، بعد أن لاحظت أنها كانت تكتب في الماضي لترضي الرجال!

من هنا يلتبس سؤال الكتابة بسؤال الكينونة والمصير لأنثى في مجتمع ذكوري، منذ تأملاتها وهي في الطريق إلى قلعة أبيها في الشندغة، لتقرر الاستسلام الظاهري، مع ارتداء ثوب الحشمة والخرس، بما يناسب النساء في الثقافة السائدة ليفارقها ظلها الذي يشير إلى الحماية الأمان، لكنها تستدعيه وتستعيده بالكتابة؛ لتطلق لقلمها العنان في كتابة طليقة لا تعبأ بقيود أو حدود، لأنها تعرف أن ما تخطه مصيره إلى المحو، فهي تتخلص من يومياتها أولاً بأول، في فعل (له دلالات رمزية) برميهِ "في خور ماء لم يعد ضحلاً!" (الكمالي، ص 20)

مع ذلك، يبقى فعل الكتابة، هو الفعل الوحيد الإرادي الذي تملك البطلة/الكاتبة أن تقتطفه خلسة، وهو الذي تمارس به حقها في العيش - وإن كان مؤقتاً - والنطق، والحرية؛ لتعيش في انقسام بين السر والعلن، والظاهر والباطن، هي "الفتاة الطليقة على الورق، واليكماء أمام أسرته" (الكمالي، ص 33)، فتذكر كمًا من دفاتر ممتلئة بحكايات ما حولها ويوميات كتبها وألفتها خشية أن تهتم بالمس. (الكمالي، ص 7)

هكذا تبرز الكتابة - كما تقول كاتيا الطويل - "المفتاح الوحيد لهذا السجن العائلي والاجتماعي والوجودي الذي لا ينفك يطبق أقصى بعد على جسد السجينة ووجودها" (الطويل، ك. 2021م)، فقد وجدت فيها البطلة الأنثى فيها (هوية إنسانية) تحلق بها في فضاءات التعبير، وهو ما منح - حسب محمود إسماعيل بدر - الرواية الأنثوية حيوتها. (بدر، محمود إسماعيل، 2022)

وتذكر البطلة أنها منذ طفولتها المتأخرة وهي تجد نفسها مغامرة في انصرافها الدائم إلى يومياتها، "وكان الصفحات البيضاء براءة زائدة تناديني لأملأها هفوات، وأحشو هوامشها بالشدائد والهم، وأحوّل كل قصة واقعية، وإن كانت مضيئة، إلى عبثية بأحداث ونهايات مدسوسة..." (الكمالي، ص 23، 24) ثم تسرح بخيال دفاترها متسائلة هذه الأسئلة الموجعة: "ماذا لو لم أكتب كل تلك الحكايات المتلفة؟ ماذا لو لم أخط بقلبي نثرات وهمية أطبطب على قلبي ولو بالتنقيط على سطور الورق؟...ماذا لو لم أستخدم خيالي ولغتي لأحولهما من واقعي المرّ إلى أدب؟...ماذا لو...وأنا في ارتحال إجباري دائم كأنتي، ماذا لو؟ بلا شك لجن جنوني." (الكمالي، ص 8)

فبالكتابة وحدها تبقى الأنثى متماسكة على قيد العقل، الذي تخشى من اتهام من حولها بفقدانه، إذا ما ضبطت متلبسة بالكتابة. إنها تعالج انقسامها، ولو على نحو آني. تقول: "أتوهج بعد غمس الفكرة على الورق، وكأنني بإنجازي نصاً ارتق ما بي..." (الكمالي، ص 25)

لكنها في مفارقة مريّة، لم تكن تفعل سوى الكتابة ومحوها، فاليوميات تجسد حركة الكتابة العنثية بين ثنائية الكتابة، والمحو الذي هو قدر كتاباتها، كما هو قدرها حين ترى نفسها "حرمة"، بعيني الآخرين؛ لأن التوثيق هو "مهمة الرجال" (الكمالي، ص 28)

غير أنّ الماء لم ينجم - فيما يبدو - في محو ما رمت إليه من دفاتر، فهياها يومياتها ترى طريقها إلى النور، وتخرج من السر إلى الإعلان، وللماء دلالات عديدة، من أهمها ثنائية الحياة والموت، كما يمثل قوة تطهيرية مقدسة. (ينظر مثلاً ليندا جينش جرومز، 1983، ص 21، 22) وكأنه، بطاقاته الرمزية، وقدرته الخالقة، وانسيابية حركته المساعدة على التحول، قد حول طريق اليوميات من العدم إلى الحياة، ومن المحو إلى التعميد الطقسي، والترخيص للظهور الرسمي المعلن!

إنما المفارقة الأصعب أن هذا البقاء لليوميات، قد تم من خلال حذف التاء في اسمها (روزة) حين حذف خطيبها المحب حرف التاء، على سبيل الاحتراز والحماية! (الكمالي، ص 164)

إن هذا التغيير الطفيف شكلاً، ليحمل دلالات عميقة الغور في الذات، التي كانت تحتفي بتاء التأنيث، ممعنة في تأملها وتفسيروها "...هبطت الأرض، وبقيت محافظة على التاء المتصقة بالأنثى. ألم يقل قدماء العرب: التاء دلالة الفهم والعلم، وهي تاء القسم، وأنه...تالله، إنهم يقسمون بشرف الأنثى. وسوف أبقى التاء المنطوقة من وفي طرف اللسان والثنايا العليا رغما عن الواقع المر، لأنني تاء رقيقة تلفظ مهموسة من الخجل." (الكمالي، ص 11) وتشير إلى انتقالها بين إمارة أبيها إلى إمارة أمها/الشارقة بعد وفاة والدها، إلى العودة بعد وفاة أمها بأن ذلك يحكم طبيعتها الأنثوية بوصفها "تاء الستر والارتباط!" (الكمالي، ص 23)

مع ذلك، فهي تحتفي بحذف حبيبها للتاء - من اسمها - تمويهاً؛ لكي تمرّ يومياتها إلى النشر من دون أن تشير أصابع الاتهام إليها! ففرح (روزة) بحذف تاء التأنيث، قد يفهم في سياق رومانسي لمراهقة يعجبها حرص حبيبها على حمايتها من الآخرين، بنشر كلماتها مع تمويه اسمها، حتى يضل عنها الأنظار، أكثر من فهمه على أنه تضحية منها باسمها، في مقابل أن تجد كلماتها طليقة الإسار!

من جهة أخرى، قد يوحي ذلك - ظاهرياً - بانتصار الأنثى التي تفرح بانحياز حبيبها إليها، ضد مجتمع ذكوري منحاز للرجل، حتى لترى فعله (فعل الفرسان الحماة)! (الكمالي، ص 164) لكن المتأمل في هذه (النصرة) من الرجل، سرعان ما يدرك هشاشتها، التي تتكى على المداجاة والمواربة، بدلاً من التحدي والمواجهة المعلنة! ويدرك الفارئ - كذلك - فعل الثقافة الأبوية المتوارثة التي تظهر الرجل بتفوقه العقلي والجسدي هو الحامي للمرأة من الأذى الخارجي، ومن قصورها وحدود قواها الجسدية والعقلية. تقول البطلة: "كدت أدس وجهي في بطن مخدتي لأكركر ضحكاً على شريك مقبل يوازن بكياسته جنوني..." (الكمالي، ص 164).

في الواقع، يبدو هذا الموقف مثيراً للاستغراب، من البطلة ومن الكاتبة معاً. فقد يعزى قصور وعي البطلة بنفسها وبحقها إلى صغر سنّها، واندفاعها

في مشاعرها الحاملة، ولكن لا يبدو- من مجربات اليوميات- أن الكاتبة تعتمد لفضح هذه الحيلة الثقافية التي تمرّ على مراهقة فتجعل شخصيتها تتلاشى في فارس أحلامها، خاصة أنها اختارت له النهاية التراجيدية في موت مجاني، ثم تبدّد ذلك كله بصحوها من منامها/الكابوس على يد أمها التي لم تمت، صباح اليوم المقرر لسفرها لمواصلة دراستها، لكنها تتمنى العودة إلى الحلم لكي تكتب بشجاعة من دون أن تتخلص مما تكتب. (الكمالي، ص 223).

إن موقف الكاتبة يذكر بمعاناة المرأة الكاتبة في أوروبا قبل عقود طويلة، كما سبقت الإشارة، وخاصة وقوعها تحت سلطة مدهنة تمنع من الكشف، والتعبير الحرّ، وتجنح للممالة والمجاملة، وهو ما أسمته فرجينيا وولف بـ (الملك في البيت) وتفتخر بأنها صارتها طويلاً حتى تمكنت من قتلها، لذلك فهي تنصح النساء اللاتي يتصدّين لكاتبة الرواية أن يتعاملن بحرية مع ما يعتقدنه، من دون مواربة. (Woolf, 1974, p. 236).

يتجسد ظلم الأنثى هنا من مجتمع لا يرى لصوتها حقاً في أن يعلو إلا إذا تخلّت عن أنوثتها، أو فقدت هويتها، وتنگرت باسم ليس لها، فلا تعود لها صلة علنية بالكلمات المنشورة. إن مؤازرة الرجل/الحبيب- في يوميات روز- لا تعدو طمس هوية روز، والتعقيم على اسمها الذي إن ظهر محتفظاً بتاء التأنيث، فسيتعرّفها = الناس، لأنه لا يتكرر- في الشندغة ولا خارجها! (الكمالي، ص 164) كأن الكتابة فعل شائن للإناث، أو أنه فعل إرادي قوي، كاشف للذات، لا يليق إلا بالرجال! هكذا تبدو أزمة الهوية، لدى البطلة، متعددة الجوانب مما يمكن أن يطلق عليه اسم (الهوية المتشظية)، وهي التي تتوزع بين ولاءات شتى، وتتنازعها (ضغوط سلطات الأخر). (ينظر الجبوري، م. 2021، ص 275).

لقد حلّت أزمة البطلة روز، في النهاية، بطريقة مجانية وادعة خالية من الفعل؛ تتمثل في صحو البطلة من الحلم فتشير إلى محض تحول وانتقال في مستويات التخيل والعبور من عالم الحلم/الكابوس الذي نسجته بقلم الخيال، إلى عالم أكثر واقعية وتعود إلى عالمها الأمومي الحاني، فتجد نفسها بين يدي أمها لتستعد للسفر لإكمال دراستها وتحقيق طموحها، وتحل أزماتها من دون صراعات أو تضحيات! بذلك يكتشف القارئ أن ما بدا من "شجاعة وتحذّر من روضة لم يكن حقيقة". وهو أمر، كما سجل واسيني الأعرج-محققاً- لم يخدم الرواية. (الأعرج، 2021)

الخاتمة:

تتبع هذه الدراسة موضوع الهوية، في رواية (يوميات روز)، للكاتبة ريم الكمالي، حيث تتقاطع أسئلة الوطني والقومي مع الآخر القريب والغريب، على مسافات القرب والبعد المختلفة، كما تتقاطع أسئلة الذات الأنثى مع الآخر الرجل لتنظم هذه الأسئلة في سؤال يجمعها هو سؤال الهوية. لقد كشفت هذه القراءة، في تحليلها للرواية، أن موضوع الهوية هو الهاجس الرئيس لهذه اليوميات، وإن تعددت مظاهر التعبير عنها، ويمكن إيجاز هذه المظاهر والقضايا التي تشكلت منها، على النحو الآتي:

الذات الوطنية والآخر القريب (الانتماء القبلي أو الجهوي).

الذات الوطنية والآخر القريب (العربي).

الذات الوطنية والآخر الغريب (على تعدد درجات خطره من عمالة وافدة، سياح، مستعمرين).

الذاكرة الوطنية في مواجهة خطر الهدم والنسيان.

التراث في مواجهة خطر التحديث الوافد.

الذات الأنثوية وموقعها في مجتمع ذكوري

الذات الأنثوية الكاتبة وحقوقها في مجتمع ذكوري

اللغة المحلية واللغة الفصيحة

الأنثى الكاتبة وهاجس الإبداع وتحقيق الذات.

لقد بينت هذه الدراسة كيف ظهرت هذه الأشكال العديدة لتمثيلات الهوية والانتماء، لتكوّن خيوط السرد في يوميات روز، وهي قضايا حيوية قد لا تنفرد بإثارتها هذه الرواية، إذ تعد من المسائل التي كثر تناولها في العلوم الإنسانية بفروعها العديدة، ولم تتأخر فنون السرد عن معالجتها، سواء في دولة الإمارات أم خارجها. وقد ظهرت بعض هذه الأسئلة في روايات الكاتبة السابقتين، لكن هذه الرواية حاولت الاقتراب من التاريخ القريب للبلاد، لتكشف أسئلتها المتشابهة حول موضوع الهوية، من خلال رصد التحول في حياة أنثى كاتبة يحركها شغف توثيق الذاكرة المحلية، ويدفعها خوف من فقدانها أو تشويهها. لا يخفى أيضاً- من خلال هذه القراءة- تماهي الكاتبة مع بطلتها المسكونة بهاجس الكتابة والتاريخ وتحقيق الذات؛ لتعبر- بأسلوبها- عن هواجس الأنثى وحلمها في الحرية والإبداع، وعن معاناتها في مجتمع ذكوري لا يقرّ لها بحقها في أن يكون لها كيانه المستقل، لكنها مع ذلك لم تستطع أن تتجاوز سلطان الثقافة التقليدية المشبعة بأوهام التفوق الذكوري. كشفت الدراسة كذلك عن هاجس الرواية في الحفاظ على الهوية الوطنية، ورصد معالم التغير في معالم البلاد والموروث المادي والروحي؛ الذي تعرض للخطر- بالدرجة الأولى- بسبب الأجانب، على اختلاف هوياتهم وغاياتهم. بدأت كتابة هذا البحث في إطار مشروع بحثي، حول الرواية الإماراتية، حظي بتمويل من جامعة الإمارات العربية المتحدة.

بلكا، إ.، وحراز، م، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي بالمغرب العربي: المغرب نموذجاً (2014)، (ط1)، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. الجرجاني، ع. (1985)، معجم التعريفات، بيروت: مطبعة لبنان.

رالف إ. (2008) المكان واللا مكان، ت. منصور البابور، طرابلس: الهيئة القومية للبحث العلمي.

صليب، ج. (1982)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

صن، أ. (2008)، الهوية والعنف: وهم المصير الحتمي، ت. سحر توفيق، الكويت: عالم المعرفة (العدد 352).

الكفوي، أ. (1998)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت. عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكمالي، ر. (2021)، يوميات روز، (ط1)، بيروت: دار الآداب.

الكيلاني، ر. (2013)، الهوية في الرواية الإماراتية: الرموز والتجليات، (ط1)، دبي: كلية الدراسات الإسلامية والعربية.

المسدي، ع. (2014)، الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق، (ط1) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

ثانئاً المحلات:

ثانئاً المحلات:

ثالثاً المواقع الإلكترونية:

الأعرج، واسيني، "كوابيس السَّجينة في (يوميات روز) لرسم الكمال"، (17.9.2021م)، في موقع الأمة برس الإلكتروني:

<https://thenationpress.net/articles-2759.html>

بدر، محمود اسماعيل، "يوميات روز حس أنشوى يتمد على الإقصاء" نشرته صحيفة الاتحاد، (28 مارس 2022م)، في موقعها:

<https://www.alittihad.ae/news/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/4274123/>

%D9%8A%D9%88%D9%85%D9%8A%D9%80%D8%A7%D8%AA-%D8%B1%D9%88%D8%B2----%D8%AD%D8%B3-

%D8%A3%D9%86%D8%AB%D9%88%D9%8A-%D9%8A%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%89-

صفحة البوابة الرسمية لحكومة دولة الامارات العربية المتحدة: 1A7D8%A7D9%84%D8%A5%D9%82%D8%B5%D8%A7D8%A1

<https://u.ae/ar-ae/information-and-services/social-affairs/preserving-the-emirati-national-identity/population-and-demographic-mix>

الجابري، م. (2010)، البرجة ومسألة الهوية، نشر بصحيفة الاتحاد، في موقعها الإلكتروني:

<https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/51246/%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9->

%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%A3%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9

الطويل، كاتيا، "بطلة رم الكمالى تستيقظ يومًا فتجد حياتها مقلوبة"، (1.9.2021م)، بصحيفة الإندييندنت العربية، فى موقعها الإلكتروني:

<https://www.independentarabia.com/node/255301/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/%D8%A8%D8%B7%D9%84%D>

8%A9-%D8%B1%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A-

%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D9%82%D8%B8-%D9%8A%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%8B-

%D9%81%D8%AA%D8%AC%D8%AF-%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7-

%D9%85%D9%82%D9%84%D9%88%D8%A8%D8%A9

غليون، ب (2005)، العولمة وأثرها على المجتمعات العربية، ورقة مقدمة إلى اجتماع خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الأمم المتحدة) حول "تأثير العولمة على الوضع الاجتماعي في المنطقة العربية" ص23. من موقع اليونسكو:

<https://www.unescwa.org/ar/events/%D8%AA%D8%A7%D8%AB%D9%8A%D8%B1->

%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-

%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B6%D8%B9-

%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D9%81%D9%8A-

%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9-

%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

الكمالي، ر. (تعريف)، في موقع التبراة الإلكترونية:

الكمالي، ر. (تعريف)، في الموقع الإلكتروني للجائزة العالمية للرواية العربية:

<https://arabicfiction.org/ar/node/1958>

مارو، ج.، (2021)، فقدانها قطيعة مع حقيقتنا الأصلية: الهوية وثبات الذات، ت. أحمد حميدة، من موقع صحيفة الاتحاد:

<https://www.alittihad.ae/news/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/4222896/%D9%81%D9%82%D8%AF%D8%A7%D9%86%D9%87%D8%A7-%D9%82%D8%B7%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D9%85%D8%B9-%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82%D8%AA%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%A9---%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%AB%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%AA>

References

- Eagleton, M. (1986), *Feminist Literary Theory: A Reader*, (1st ed.) Oxford: Basil Blackwell.
- Jentsch-Grooms, L., (1983), *Exile and the Process of Individuation: A Jungian Analysis of Marine Symbolism in the Poetry of Rafael Alberti, Pablo Neruda, and Cecilia Meireles*, Valencia-Spain: Albartos Hispanofila.
- Woolf, V., (2014) *A Room of One's Own*, (E-Book), Delphine Lettau, Cindy Beyer & the online Distributed Proofreaders Canada team at <http://www.pgdpCanada.net>
- Woolf, V., (1974), *Death of The Moth and Other Essays*, New York: Harcourt Brace Jovanovich.